

كتب قداسة البابا شنودة الثالث



www.st-mgalx.com

البابا شنودة الثالث

الدموع لوقيا

في الحياة الروحية





معلمة مما ليس في الفقه والدين
البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطرس الرسول الكرازة المرسية



قصة هذا الكتاب

ترجع قصة هذا الكتاب إلى ثلاثين عاماً ...

كان ذلك سنة ١٩٦٠ ، وكنت في مغارتي في البحر الفارغ بيرية شيهيت . وكان لدى وقت لأجيب على أسئلة روحية يرسلها إليّ بعض أبنائي الروحيين .

وفي إحدى المرات ، جاءني خطاب يحوى العديد من الأسئلة ، أجبت على أكثر من عشرة منها ، وبقي هذا الموضوع . فقلت لصاحب الخطاب « ها أنا قد أجبتك على كل أسئلتك . وبقيت الدموع . حاضرياً (فلان) ... من عيني الإثنتين ... »

وحضرت النقاط الخاصة بالموضوع ، وبقيت معي ... ثم كانت رسامتي للأسقفية ، وألقيت محاضرة عن هذا الموضوع سنة ١٩٦٤ ... أخيراً عثرت على أوراقه كلها ، ورأيت أن أنشرها ، لئلا تتوه وسط أوراقى الكثيرة ، أو تضيع ...

البابا شنودة الثالث

يونيو ١٩٩٠ م .



فئة الدموع

أسمى صورة للدموع ، هى قول الإنجيل فى قصة إقامة لعازر من الموت :

« بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) .

إنها أقصر آية فى الكتاب المقدس . ولعلها فى نفس الوقت من أعمق الآيات فى الكتاب المقدس ... ولعلها مثلها فى التأثير :

بكاء السيد المسيح على أورشليم (لو ١٩ : ٤١) .

إنها دموع أعمق من كل تأملاتنا ... فيها الحب ، والتأثر ، ورقة القلب وحساسيته ، والحنو ، وربما الحزن أيضاً ...

وفيهـا معانٍ أخرى لا أعرفها ...

من هنا يستطيع أن يصل إلى أعماقها ؟ !

تطويب البكاء

★ تطوب السيد المسيح البكاء .

فقال «طوباكم أيها الباكون الآن ، لأنكم ستضحكون»
(لوقا : ٢١) «طوبى للحزاني الآن ، لأنهم سيتعزون» (متى ٥ : ٤).

★ وقيل في المزمور (١٢٦ : ٥) .

الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج

★ وقيل في سفر الجامعة لسليمان الحكيم :

«الذهاب إلى بيت النوح ، خير من الذهاب إلى بيت الفرح»
«قلب الحكماء في بيت النوح . وقلب الجاهل في بيت الفرح»
(جا : ٧ ، ٢ ، ٤) . وأيضاً :

«الحزن خير من الضحك . لأنه بكآبة الوجه يصلح القلب» (جا : ٧ : ٣) .

مما يدعو إلى الملاحظة أن الكنيسة تدعونا إلى البكاء على خطايانا في كل يوم، في صلاة الهجعة الثانية من صلاة نصف الليل، حيث نقول :

«اعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، كما أعطيت في القديم للمرأة الخاطئة»...

«واجعلني مستحقاً أن أبل قدميك اللتين اعتقتاني من طريق الضلالة، وأقدم لك طيباً فائقاً، وأقتنى لي عمراً نقياً بالتوبة».

وهكذا تضع أمامنا إنجيل المرأة الخاطئة (لوقا ٧). لنصليه كل يوم في نصف الليل، ونأخذ درساً من دموعها وتوبتها. ويقف كل منا ليصلي أمام الله ويقول :

أعطني يارب ينابيع دموع كثيرة، لأبكي على كبريائي وغضبي وقسوتي ونجاستي، وتقصيري، وأخطائي باللسان والقلب والفكر.. عدم محبتي لك وللناس، وقلة جديتي في روحياتي، وقلة حرصي على حفظ وصاياك...

واعطني أيضاً ينابيع دموع كثيرة، لأبكي على عدم محبتي.

إن الله يطلب منا أن نبكي باستمرار، ويقول لنا في سفر يوثيل النبي :

«ارجعوا إلى بكل قلوبكم ، وبالصوم والبكاء والنوح»
(يو ٢ : ١٢) .

ويقول في سفر ملاخي النبي :

«مغطين مذبح الرب بالدموع والصراخ» (ملا ٢ : ١٣) .

نحن محتاجون إلى هذه الدموع ، طالما نحن على الأرض ،
يكفى أن ربنا يسوع المسيح قال في تطويباته :

«طوباكم أيها الباكون الآن...» (لوقا ٦ : ٢١) .. وعبرة
(الآن) تعني هنا على الأرض . وعبرة «لأنكم تتعزون» تعني
هناك في السماء .

لأن الدموع من ثمارها العزاء .

أنواع من الدموع

- دموع الصلاة .
- دموع التوبة ودموع الندم .
- دموع اليأس .
- دموع الشقاق على الآخرين أو دموع المشاركة الوجدانية
- دموع الفراق في حالات الموت أو الوداع
- دموع التلألؤ بعد الفراق .
- دموع العجز أو القهر .
- دموع التأثر ، الحساسية ، الانفعال .
- دموع الحزن ، الحسرة ، الخسارة .
- دموع في الخدمة .
- دموع المحبة والفرح .
- دموع الشهوة .
- دموع زائفة .

ما أكثر أنواع الدموع في حياة البشر، تختلف بحسب أسبابها .
ونذكر هنا من بين هذه الأنواع :

- ١ - دموع الصلاة .
- ٢ - دموع التوبة ، ودموع الندم .
- ٣ - دموع اليأس .
- ٤ - دموع الإشفاق على الآخرين أو دموع المشاركة الوجدانية .
- ٥ - دموع الفراق . في حالتى الموت أو الوداع .
- ٦ - دموع التلاقى بعد الفراق .
- ٧ - دموع العجز أو القهر .
- ٨ - دموع التأثر ، الحساسية ، الانفعال .
- ٩ - دموع الحزن ، الحسرة ، الخسارة .
- ١٠ - دموع فى الخدمة .
- ١١ - دموع المحبة ، والفرح .
- ١٢ - دموع الشهوة .
- ١٣ - دموع زائفة .

دموع الصلاة

وهي كثيرة جداً في الكتاب المقدس ، وفي سير القديسين ، سنذكرها حينما نتحدث بالتفصيل عن دموع القديسين .

وسببها الحب ، والتأثر ، وعمق الصلاة التي تصدر من القلب ، مع مشاعر الاشتياق والحنين إلى الله ، أو عمق في الطلب .

ومن أشهرها دموع داود النبي الذي قال للرب في مزاميره « انصت إلى دموعي » (مز ١١٩) .

ومن أمثلتها دموع حنة زوجة القانة . وقد ورد عن صلاتها أنها « صلت إلى الرب ، وبكت بكاءً ، ونذرت نذراً » (١ صم ١ : ١٠ ، ١١) .

أمثلة الدموع في الصلاة كثيرة جداً في الكتاب المقدس ، وفي سير القديسين أيضاً (أنظر الباب الثالث) .

دموع الندم والتوبة

ومن أمثلتها في الكتاب :

١ - دموع المرأة الخاطئة التي بللت قدمي المسيح بدموعها
(لوقا : ٧ : ٣٨) .

كانت تبل قدميه بالدموع ، وتمسحهما بشعر رأسها . وقال
السيد المسيح عنها إنها « غلست رجليّ بالدموع » وأنها أحبت
كثيراً ، وغفر لها الكثير . وفضلها الرب على الفريسي الذي يشعر
ببره ...

لم يكن لديها كلام تقوله ، أو تجرؤ أن تقوله ، فتكلمت
بدموعها .

الإنسان الشاعر بخطاياها ، النادم عليها ، يخجل أن يتكلم .
وتضغط مشاعر الندم والحزن في قلبه ، على منابع الدمع في عينيه ،
فيبكي . ويكون بكاءؤه أصدق تعبيراً من أي كلام .

ربما يقول إنسان كلاماً بدون مشاعر ، أما البكاء فهو
مشاعر بدون كلام ..

وهي مشاعر صادقة معبرة .



ومن أمثلة دموع التوبة أيضاً :

٢ - دموع داود النبي في توبته :

وهذه ما أعمقها في قوله « تعبت في تنهدى . أعوم في كل ليلة سريري ، وبدوعى أبل فراشى » (مز : ٦ : ٦) .

وقوله أيضاً « أبكيت بصوم نفسي ... جعلت لباسي مسحاً » (مز : ٦٩ : ١٠ ، ١١) « من صوت تنهدى ، لصق عظمى بلحمى ... أكلت الرماد مثل الخبز ، ومزجت شرابى بالدموع » (مز : ١٠٢ : ٥ ، ٩) .



ولعل من الأمثلة البارزة لدموع الندم والتوبة :

٣ - دموع بطرس الرسول بعد إنكاره :

وفي ذلك يقول عنه الكتاب إنه « خرج إلى خارج ، وبكى بكاءً مرّاً » (متى : ٢٦ : ٧٢) .

وهنا نجد البكاء مصحوباً بمرارة في القلب وفي الدموع .



ومن أمثلة دموع التوبة أيضاً :

٤ - دموع الشعب كله في توبة عامة :

وعنها يقول يوثيل النبي :

«ولكن الآن يقول الرب : ارجعوا إلى بكل قلوبكم ،
وبالصوم والبكاء والنوح . مزقوا قلوبكم لا ثيابكم ، وارجعوا إلى
الرب إلهكم» .

«ليبك الكهنة خدام الرب بين الرواق والمذبح ، ويقولوا اشفق
يارب على شعبك ، ولا تسلم ميراثك للعار» (يوثيل ٢ : ١٢ ، ١٣ ،
١٨) .

وقد بكى الشعب كله بكاءً عظيماً أيام عزرا الكاهن
بسبب خطاياهم «وصلى عزرا واعترف ، وهو باكٍ وساقط أمام
بيت الله» (عزرا ١٠ : ١) .



وبالمثل يقول القديس بولس الرسول لأهل كورنثوس موبخاً
«لم تنوحوا حتى يرفع من وسطكم الذى فعل هذا الفعل»
(١ كور ٥ : ٢) .

و يقول القديس يعقوب الرسول :

«نقوا أيديكم أيها الخطاة ... اكتشوا ، ابكوا ، ونوحوا ...»
(يع ٤ : ٨ ، ٩) .

و يشرح ملاخى النبى هذا الأمر فيقول « ..مغطين مذبح الرب
بالدموع والبكاء والصراخ » (ملا ٢ : ١٣) .



ومن أمثلة البكاء بسبب الخطية :

★ بكاء الذين طعنوا المسيح ، حينما يرونه فى مجيئه الثانى .

وفى ذلك يقول سفر الرؤيا :

هوذا يأتى على السحاب ، وستنظره كل عين ، والذين طعنوه .
وينوح عليه جميع قبائل الأرض » (رؤ ١ : ٧) .

ولكن النوح فى هذا المثال ، لا نضعه تحت عنوان التوبة ، وقد
لا يتصف بالندم أيضاً . ربما تكون دموع الحزن والألم والحسرة ،
بغير أمل ...

دموع الحزن

ولعل من أبرزها في الكتاب :

دموع الحزن على الخطاة ، الذين هلكوا أو رفضهم الرب .

ومن أمثلة ذلك : بكاء صموئيل النبي على شاول الملك . وفي ذلك يقول الكتاب « وناح صموئيل على شاول » (١ صم ١٥ : ٣٥) ، « فقال له الرب : حتى متى تنوح على شاول ، وأنا قد رفضته ؟ ! » (١ صم ١٦ : ١) .

★ وبالمثل بكى بولس الرسول على الخدام الذين سقطوا وهلكوا .

فقال « لأن كثيرين من الذين كنت أذكرهم لكم مراراً ، والآن أذكرهم باكياً ، وهم أعداء صليب المسيح ، الذين نهايتهم الهلاك » (في ٣ : ١٨ ، ١٩) .

★ ويذكر سفر الرؤيا البكاء على بابل ، المدينة العظيمة الخاطئة :

فيقول «وسيبكى وينوح عليها ملوك الأرض، الذين زنوا وتنعموا معها، حينما ينظرون دخان حريقها، واقفين من بعيد لأجل خوف عذابها، قائلين: ويل ويل» (رؤ ١٨ : ٩ ، ١٠).



★ أعلنا نذكر أيضاً بكاء داود على أبشالوم؟!

إنه حقاً حزن على إبنه الذي مات، ولكن هناك نقطة حساسة وهي أنه مات هالكاً... مات خائناً لأبيه، وثائراً عليه، ومحارباً ضده، وزانياً مع نسائه.

إن داود لم يبك على إبنه الذي ولدته امرأة أوريا، وقال «هل أقدر أن أردّه بعد؟! أنا ذاهب إليه، وأما هو فلا يرجع إليّ» (٢ صم ١٢ : ٢٣)... أما على أبشالوم فبكى.

لقد مات هالكاً، فلن يذهب إليه أبوه... بل أنفصل عنه إلى الأبد...



★ ومن أمثلة البكاء بسبب الحزن بكاء داود وكل الشعب، لما غزا العمالقة مدينة صقلع وأحرقوها وسبوا نساءها... هنا يقول الكتاب:

فرّفع داود والشعب الذين معه أصواتهم ، وبكوا حتى لم
تبق لهم قوة للبكاء » (١ صم ٣٠ : ١ - ٤) .

موقف مؤثر حقاً .. وبكاء وصل إلى نهايته القصوى ، حتى لم
تبق لهم قوة للبكاء ...



★ ومن أمثلة بكاء الحزن ، سفر مراثى ارمياء النبي كله ...

إنه سفر البكاء والدموع ... يدخل في بكاء الحزن ، ولكنه
الحزن بسبب الخدمة ، وبدافع من الغيرة المقدسة . ويصلح أيضاً
أن يرثى به الإنسان ذاته

دموع الفراق

ليس سهلاً على قلوب ارتبطت بالحب ، أن تفرق ،
وبخاصة لو كان فراقاً بلا عودة إلى اللقاء ، على الأقل على
هذه الأرض ...

ولذلك نجد في هذا المجال أمثلة لقديسين وقديسات بكوا ،
بسبب هذا الفراق ، ومن بين هذه الأمثلة :

★ بكاء أبينا ابراهيم على سارة .

وفى ذلك يقول الكتاب بعد موت سارة « فأتى ابراهيم ليندب سارة ويبكى عليها » (تك ٢٣ : ٢) .

★ كذلك قيل عن مريم أخت لعازر، بعد موته : إنها ذهبت إلى القبر لتبكي هناك » (يو ١١ : ٣١) .

★ وقد بكّت مريم المجدلية عند قبر السيد المسيح .

وقيل عنها « أما مريم فكانت واقفة عند القبر خارجاً تبكى » (يو ٢٠ : ١١) . حتى أن الملاكين قالوا لها « يا امرأة ، لماذا تبكين ؟ » . ونفس العبارة قالها لها السيد المسيح (يو ٢٠ : ١٣ ، ١٥) .

★ وكانت أرملة نايين تبكى على ابنها الميت . « فلما رآها الرب تحزن عليها ، وقال لها لا تبكى » (لو ٧ : ١٣) .



★ بل أن الشعب كله ، بكى ، لما قال لهم القديس بولس : لا ترون وجهى بعد ...

وهكذا يقول سفر أعمال الرسل « وكان بكاء عظيم من

الجميع ، ووقعوا على عنق بولس يقبلونه ، متوجعين ولاسيما من الكلمة التي قالها إنهم لن يروا وجهه أيضاً» (أع ٢٠ : ٣٧ ، ٣٨) .



★ ومن أمثلة البكاء بسبب الفراق :

بكاء الشعب بعد موت موسى .

وفي ذلك يقول الكتاب « فبكى بنو اسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يوماً . فكملت أيام بكاء مناحة موسى .



لكل هذا أنا أتعجب من بعض الآباء الكهنة أو الشمامسة أو الأراخنة ، الذين ينتهرون النساء بعنف ، حينما يكون في جناز!!
هذا البكاء شيء طبيعي ، ومشاعر إنسانية من الصعب كتمانها ... إنما ينبغي أن يكون في حدود المعقول ، ولا يتحول إلى صراخ مستمر يعطل الصلاة في الكنيسة .



دموع التأثر

وتبدو هذه واضحة جداً، في لقاء يوسف الصديق بأخوته وبأبيه، بعد سنوات من الفراق.

★ حينما سمع يوسف أخوته يقولون بعضهم لبعض «حقاً إننا مذنبون إلى أخينا الذي رأينا ضيقة نفسه لما استرحمنا ولم نسمع»... يقول الكتاب عن يوسف «فتحول عنهم وبكى» (تك ٤٢ : ٢٤).

★ وأيضاً حينما أعلن نفسه لهم، يقول الكتاب عنه إنه «صرخ : اخرجوا كل إنسان عني . فلم يقف أحد عنده حين عرف يوسف أخوته بنفسه . فاطلق صوته بالبكاء... وقال يوسف لأخوته : أنا يوسف . أحيى أبي بعد ؟» (تك ٤٥ : ١ - ٣) .

★ وكذلك حينما التقى بأخيه بنيامين، يقول الكتاب :

«ثم وقع على عنق بنيامين أخيه وبكى . وبكى بنيامين على عنقه . وقبل جميع أخوته وبكى عليهم» (تك ٤٥ : ١٤ ، ١٥) .

★ وبنفس التأثر ، وبنفس البكاء ، كان لقاء يوسف الصديق مع أبيه يعقوب . يقول الكتاب في ذلك « فشَدَّ يوسف مركبته ، وصعد لاستقبال اسرائيل أبيه ، إلى جاسان » .

« ولما ظهر له ، وقع على عنقه ، وبكى على عنقه زماناً »
(تك ٤٦ : ٢٩) .

إنها مشاعر إنسانية حساسة .

★ ولعلنا على نفس القياس الإنساني .

نذكر لقاء يعقوب بابنة خاله راحيل .

يقول الكتاب في ذلك « وقبل يعقوب راحيل ، ورفع صوته وبكى . وأخبر يعقوب راحيل أنه أخو أبيها ، وأنه ابن رفقة »
(تك ٢٩ : ١١ ، ١٢) .

لقد تأثر أن الرب قد وفقه إلى بيت خاله ، وأنه رأى ابنة خاله أمامه بتدبير إلهي . فرفع صوته وبكى ...

إنها مشاعر إنسانية . يمكن بها أن يبكي الإنسان تأثراً في حالة اللقاء ، كما أيضاً في حالة الفراق ...

دموع المشاركة

وهى دموع لأجل الآخرين ، أو مع الآخرين ، وعنهما يقول الرسول : « .. وبكاء مع الباكين » (رو ١٢ : ١٥) .
ولهذا النوع أيضاً أمثلة عديدة فى الكتاب المقدس ، منها قول القديس يوحنا الإنجيلي :

★ « وكان كثيرون من اليهود قد جاءوا إلى مرثا ومريم ليعزوهم عن أخيهما » (يو ١١ : ١٩) . ولعل أبرع وأعمق ما قيل فى هذه المناسبة : « فلما رآها - أى مريم - تبكى ، واليهود الذين جاءوا معها يبكون » ..

★ « بكى يسوع » (يو ١١ : ٣٥) .

★ ولعل من الأمثلة الأخرى فى هذا المجال بكاء بنات أورشليم ، لما رأين السيد المسيح يساق إلى الصليب ، إذ « تبعه جمهور كثير من الشعب ، والنساء أيضاً اللواتى كن يلطمن أيضاً وينحن عليه » (لو ٢٣ : ٢٧) .

★ من الأمثلة أيضاً بكاء الأمهات على أبنائهن في أية ضيقة .

فلما فرغ الماء من هاجر وإبناها ، طرحت الولد تحت إحدى الأشجار ، ومضت وجلست مقابله بعيداً... وقالت لا أنظر موت الولد... ورفعت صوتها وبكت (تك ٢٢ : ١٥ ، ١٦) .

دموع الفرح

ومن أمثلة ذلك ، بكاء الشعب عند إعادة بناء الهيكل بعد السبي ، في أيام زربابل . ويقول في ذلك سفر عزرا الكاهن :

« وكثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوس الآباء الشيوخ ، الذين رأوا البيت الأول ، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم . وكثيرون كانوا يرفعون أصواتهم بالهتاف بفرح . ولم يكن الشعب يميز هتاف الفرح من صوت بكاء الشعب » (عز ٣ : ١٢ ، ١٣) .

دموع مرفوضة

منها دموع اليأس :

★ ولعل من أمثلتها دموع عيسو التي قال عنها الرسول « لئلا يكون أحد مستبيحاً كعيسو، الذي لأجل أكلة واحدة باع بكوريته . فإنكم تعلمون أنه أيضاً لما أراد أن يرث البركة ، رُفض ، إذ لم يجد للتوبة مكاناً مع أنه طلبها بدموع » (عب ١٢ : ١٦ ، ١٧) .



دموع عيسو كانت نوعاً آخر .

★ كانت دموع العجز والقهر .

أو كانت دموع الغيظ والحقد على أخيه ، ودموع اليأس من نوال البركة ...

« قال عيسو لأبيه : ألك بركة واحدة فقط يا أبى . باركنى أنا أيضاً يا أبى . ورفع صوته وبكى » (تك ٢٧ : ٣٨) . وقيل إنه لما سمع ببركة يعقوب « صرخ صرخة عظيمة ومرة جداً » (تك ٢٧ : ٣٤)

البركة العظمى التى نالها يعقوب ، أن السيد المسيح يأتى من نسله ، وينسله تتبارك جميع قبائل الأرض (تك ٢٨ : ١٤) . ولم يكن ممكناً أن يأتى المسيح من عيسو ويعقوب معاً .

لذلك عبارة « ألك بركة واحدة يا أبى »!؟ تعنى من جهة هذا الموضوع جهلاً تاماً بالبركة ونوعها !! وكانت صرخته صرخة غيظ وقهر ، وبكاؤه بكاء عجز و يأس ...



ومن أمثلة هذا البكاء اليأس المرفوض أيضاً :

★ بكاء الهالكين فى الأبدية .

إذ يقول الكتاب عنهم إنهم « يطرحون فى الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (متى ٨ : ١٢) . ويقول أيضاً عن نهاية العالم « يرسل ابن الإنسان ملائكته ، فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ، ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » (متى ١٣ : ٤١ ، ٤٢) . ونفس الكلام يتكرر فى (متى ٢٤ : ٥١) ، وفى (لوقا ١٣ : ٢٨) . فما جدوى مثل هذا البكاء !؟

دموع الشهوة

إنها دموع تضيف خطأ جديداً ، إلى خطيئة الشهوة ، فتصبح خطية مركبة .

ومن أمثلتها خطأ الشعب ، حينما بكى في البرية مشتتاً
أن يأكل لحماً !!

وفي ذلك يروى سفر العدد :

« واللفيف الذي في وسطهم اشتهى شهوة . فعاد بنو إسرائيل أيضاً وبكوا . وقالوا من يطعمنا لحماً ؟! قد تذكرنا السمك الذي كنا نأكله في مصر مجاناً ، والقثاء والبطيخ والكرات والبصل والثوم .. » (عدد ١١ : ٤ ، ٥) . وقال موسى للرب « .. من أين لي لحم ، حتى أعطي جميع هذا الشعب ؟! لأنهم سيكونون على قائلين : أعطنا لحماً لنأكل » (عدد ١١ : ١٣) .



الفصل الثاني

الدموع فنى الخدمة

● أسباب اليكاه فى الخدمة .

لعل من أشهرها دموع ارمياء النبي .

هذه التي سجلت في سفر كامل ، من الأسفار المقدسة دعى
(مراثى أرمياء) .

**والذى يشمل صلوات كثيرة ، كلها تنهد وحسرة ، كأن
يقول :**

« أنظر يارب ماذا صار لنا . وانظر إلى عارنا . قد صار ميراثنا
للغرباء ... صرنا بلا أب ، أمهاتنا كأرامل » (مرا ٥ : ١ - ٣) .

ويقول أيضاً « مضى فرح قلبنا . صار رقصنا نوحاً . من أجل
هذا حزن قلبنا . من أجل هذه اظلمت عيوننا ... لماذا تنسانا إلى
الأبد وتتركنا طول الأيام . أرددتنا يارب فترتد . جدد أيماننا
كالقديم . هل كل الرفض رفضتنا ؟! » (مرا ٥ : ١٥ - ٢٢) .

ويشرح في هذا السفر بكاء مملكة يهوذا فيقول :

« على هذا أنا باكية . عيني عيني تسكب مياهاً . لأنه قد
ابتعد عني المعزى ، راذ نفسي » (مرا ١ : ٦) « كَلَّتْ من الدموع
عيناي . غلت أحشائي » (مرا ٢ : ١١) . « سكبت عيناي ينابيع

ماء على سحق بنت شعبي . عيني تسكب ولا تكف بلا انقطاع ،
حتى يشرف و ينظر الرب من السماء » (مرا ٢ : ٤٩ ، ٥٠) .

هنا بكاء بلا انقطاع ، وبلا عزاء ، حتى تعبت العين من
البكاء ، وشعور بأن الله قد ترك النفس أو نسيها أو رفضها !!
وصلاة ... مع صلاة إليه أن يرجع .



٢ - ولعل من الأمثلة أيضاً بكاء المسيبين عند أنهار بابل . وفي
ذلك يقول المرتل :

« على أنهار بابل هناك جلسنا ، فبكينا عندما تذكرنا صهيون .
على الصفصاف في وسطها علقنا قيثاراتنا . لأن هناك سألنا الذين
سبونا أقوال التسبيح ... كيف نسبح تسبحة الرب في أرض
غريبة ؟! (مز ١٣٦) .



٣ - ومن الأمثلة أيضاً بكاء نحميا لما سمع أخبار سيئة عن
أورشليم .

فقال : فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت
أياماً وصمت وصليت أمام إله السماء » (نح ١ : ٤) .

وفي صلاته إعترف بخطاياہ وخطايا كل الشعب ، وطلب من
الرب رحمة ، مذكراً إياه بمواعيده للآباء .



٤ - ونفس الوضع بالنسبة إلى عزرا الكاهن ، لما عرف
خطايا الشعب . فبكى وأبكى الشعب معه .

وفي ذلك يقول الكتاب « فلما صلى عزرا ، وَاَعْتَرَفَ وَهُوَ بَاكٍ
وساقط أمام بيت الله ، اجتمع إليه من إسرائيل جماعة كثيرة جداً
من الرجال والنساء والأولاد . لأن الشعب بكى بكاءً عظيماً »
(عز ١٠ : ١) .



وفي غير المراثي ، يقول أرمياء النبي في سفره :

« يا ليت رأسي ماء ، وعيني ينبوع دموع ، فأبكي نهاراً
وليلاً قتل بنت شعبي » (أر ٩ : ١) .



٥ - وقد بكى دانيال النبي أيضاً من جهة سنوات
السبي :

وقال في ذلك « فوجهت وجهي إلى الله السيد طالباً بالصلاة

والتضرعات ، بالصوم والمسح والرماد . وصلت إلى الرب إلهي
واعترفت وقلت ... أخطأنا وأثمننا ، وعملنا الشر ، وقمردنا وحدنا عن
وصاياك وأحكامك ... » (دا ٩ : ٣ - ٥) .

« في تلك الأيام ، أنا دانيال كنت نائماً ثلاثة أسابيع أيام ،
لم آكل طعاماً شهياً ، ولم يدخل في فمي لحم ولا خمر ، ولم
أدهن ، حتى تمت ثلاثة أسابيع أيام » (دا ١٠ : ٢ ، ٣) .

وهنا نرى البكاء مصحوباً بالصلاة والصوم والزهد
والاعتراف بالخطايا .



٦ - من أمثلة البكاء في الخدمة بكاء ميخا النبي « من أجل
إثم يعقوب ومن أجل خطية بيت إسرائيل » (مي ١ : ٥) . وفي
هذا يقول :

« من أجل ذلك أنوح وأولول . أمشي حافياً وعرياناً . أصنع
نحيباً كبنيات آوى ، ونوحاً كرجال النعام . لأن جراحاتها عديمة
الشفاء . لأنها قد أتت إلى يهوذا ... » (مي ١ : ٨ ، ٩) .



٧ - ولعل في قمة البكاء في الخدمة بكاء ربنا يسوع المسيح على أورشليم :

وفي ذلك يقول الكتاب « وفيما هو يقترب ، نظر إلى المدينة وبكى عليها قائلاً » ... فإنه ستأتى أيام ، ويحيط بك أعداؤك بمتربة ... ويهدمونك وبنيك فيك ، ولا يتركون فيك حجراً على حجر... » (لوقا : ١٩ : ٤١ - ٤٤) .



٨ - ومن أمثلة البكاء أيضاً بكاء بولس الرسول في الخدمة :

فإنه يقول لكهنة أفسس « أنتم تعلمون من أول يوم دخلت آسيا ، كيف كنت معكم كل الزمان ، أخدم الرب بكل تواضع ودموع كثيرة ، وبتجارب أصابتنى من مكاييد اليهود » .

« لذلك اسهروا ، متذكرين أنى ثلاث سنين ليلاً ونهاراً ، لم أفتر أن أنذر بدموع كل أحد » (أع ٢٠ : ١٩ ، ٣١) .

وحتى في رسائله يقول لأهل كورنثوس « لأننى من حزن كثير وكآبة قلب ، كتبت إليكم بدموع كثيرة ، لا لكى تحزنوا ، بل لكى تعرفوا المحبة التى عندى ولاسيما من نحوكم » (٢ كو ٢ : ٤) .

٩ - وبالمثل كان تلاميذ القديس بولس في بكائهم .

فهو يرسل إلى تلميذه تيموثاوس ويقول له « .. أذكرك بلا انقطاع في طلباتي ليلاً ونهاراً ، مشتاقاً أن أراك ، ذاكراً دموعك »
(٢تى ١ : ٤) .



أسباب البكاء في الخدمة

★ القلب الحساس يتأثر من حالة الناس المخدمين .

★ يتأثر إذ يتذكر خطاياهم . كيف ضعفوا ، وكيف جرحوا قلب الله .

★ ويتأثر بنتائج الخطية ، وما جلبته من متاعب ومن ويلات ... أو بما سوف تجلبه من غضب الله .

★ بل قد يتأثر فيما هو يوبخ على الخطايا ، متذكراً ضعفه هو أيضاً ، وأنه ما كان يريد أن يوبخ ، فينذر بدموع ...

★ وقد يبكي الإنسان في الخدمة ، طالباً معونة الله ، أو طالباً رحمته ومغفرته . أو يبكي وهو يعرض على الله في صلاته ، ما وصل إليه الأمر من ضياع .

★ يبكى الإنسان في الخدمة شاعراً بضعفه ، ومتوسلاً إلى الله أن يتدخل ، لأن الأمور لا تحلّ بدونه .

★ أو قد يبكى من شدة المشاكل ، ومن ضغط العدو عليه ، أو من شماته الأعداء وتعييرهم . كما قال داود النبي :

« صارت لي دموعي خبزاً نهاراً وليلاً ، إذ قيل لي كل يوم أين إلهك ؟! هذه أذكرها فأسكب نفسي على ... » (مز ٤٢ : ٣ ، ٤) .

الفصل الثالث

المتديسون والدموع

١ - القديس أرسانيوس من القديسين الذين اشتهروا كثيراً بالبكاء...

حتى قيل إن رموش عينيه تساقطت من كثرة البكاء. وتكون اخدودان (حفرتان) على خده من كثرة البكاء.

وكان في الصيف يبلى الخوص بدموعه. وكان يضع على ركبتيه قطعة من القماش تسقط عليها دموعه.

وفي ساعة موته بكى كثيراً، فقال له تلاميذه «حتى أنت يا أبانا تخاف من هذه الساعة؟!» فقال لهم: إن فرع هذه الساعة ملازم لي منذ دخلت إلى الرهبة...

إن كان القديس العظيم أرسانيوس يبكي هكذا، فماذا نقول نحن عن أنفسنا؟

وماذا نقول عن فرع تلك الساعة الذي كان يلازمه؟!

ويلازم من؟ يلازم أرسانيوس العظيم مثال الوحدة والصمت في بستان الرهبان، الذي كان البابا ثاوفيلس يشتهي أن يقابله. وكان القديسون يقولون له «لماذا تهرب منا يا أبتاه؟!» فيجيب «يعلم الله أنني أحبكم جميعاً. ولكنني لا أستطيع أن أتكلم مع الله والناس في نفس الوقت»...

أرسانيوس العظيم الذى كان يقف للصلاة وقت الغروب ،
والشمس وراءه ، ويظل واقفاً يصلى حتى تشرق أمامه من جديد ،
مقضيّاً الليل طوله فى الصلاة...

أرسانيوس المتضع ، معلم أولاد الملوك ، الذى كان يستشير ذلك
المصرى الأعمى ، ويقول له إنه لم يعرف بعد الفا فيتا التى يتقنها
ذلك المصرى . بل يقول أيضاً إنه تعلم اللاتينية واليونانية ، ولكنه
لم يعرف بعد كيف ينقى الفول مع رهبان الأسقيط .

آية خطايا فعلها القديس أرسانيوس حتى كان يبكى
ويفرغ من تلك الساعة؟!

هل بعد كل هذا نسرع نحن إلى العزاء والفرح من مبدأ
الطريق ، ونتباهى بأن خطايانا قد غفرت؟! ونبحث عن
المواهب؟! ونطالب بنصيبنا فى الميراث؟! وننسى أنفسنا!!
إن الدموع تحتاج إلى تواضع قلب ، ويناسبها جداً أن يعرف
الإنسان ذاته ، ويحاسب نفسه ويلومها .

قيل إنه لما حانت وفاة القديس البابا ثاوفيلس ، قال :

« طوباك يا أنبا أرساني ، لأنك بكيت طول حياتك من أجل هذه الساعة » .



٢ - وعندما سمع أنبا ييمن أن القديس أرسانيوس قد تنيح ، قال : طوباك يا أنبا أرسانيوس لأنك بكيت على نفسك في هذا العالم ... » .

« لأن الذي لا يبكي على نفسه في هذا العالم ، لا بد سيبكي إلى الأبد في العالم الآخر . أما بكاءه ههنا فباختياره . ولكن هناك فبسبب ما يناله من عقاب » .

« ولكن من المحال أن يفلت إنسان من البكاء هنا وهناك » .
صدق داود النبي الذي اختبر الدموع جيداً في حياته فقال :

« الذين يزرعون بالدموع ، يحصدون بالابتهاج »
(مز ١٤٥) .



٣ - من أشهر الأمثلة أيضاً في الدموع القديس ايسيدوريوس قس القلاي .

وكان تحت إشرافه ثلاثة آلاف راهباً . وكان يرى رؤى .
وكانت الشياطين تخافه وتهرب منه ، وبسهولة كان يخرج
الشياطين ...

وفي إحدى المرات ظهر له الشيطان وقال له « أما يكفيك أننا
لا نستطيع أن نمر على قلايتك ، ولا على القلاية التي إلى جوار
قلايتك . وأخ واحد كان لنا في البرية ، جعلته يعتدى علينا
بصلاته في النهار والليل » ...

ومع ذلك كان القديس ايسيدوروس يبكي بدموع غزيرة .

وكان يجهد بالبكاء بصوت عالٍ ، لدرجة أن تلميذه في الغرفة
المجاورة سمعه يبكي ، فدخل عليه وقال له « لماذا تبكي يا
أبي ؟ » فأجابه القديس « إننى يا ابنى ابكى على خطاياى ...
فقال له التلميذ « حتى أنت يا أبانا ، لك خطايا تبكى عليها ؟ ! »
فأجابه :

« صدقنى يا ابنى ، لو كشف الله لى كل خطاياى ، ما كان
يكفى لو اجتمع ثلاثة أو أربعة معى للبكاء عليها » !

هؤلاء القديسون كانت لهم حساسية شديدة من جهة أن
الخطية خاطئة جداً ، وأنها تخرج قلب الله المحب .

ما كانوا يفكرون في عقوبة الخطية ، إنما كانوا يفكرون في مشاعر الله ، وأنهم لم يرضوه بعد ، على الرغم من السمو العظيم الذى وصلوا إليه فى الحياة الروحية . ويرون أن هذا (التقصير) إذا ما قيس بالكمال الذى يتطلعون إليه ، هو الخطية التى سيكون عليها بدموع ...



٤ - ومن القديسين الذين بكوا بدموعهم القديس باخوميوس أب الشركة .

حتى أن تلاميذه - بعد صلاته - وجدوا الأرض التى كان واقفاً عليها مبللة بالدموع .



٥ - وكان القديس مقاريوس الكبير مشهوراً أيضاً بالدموع .

ولما قربت أيام انتقاله ، سأله الآباء أن يأتى إليهم ليتباركوا منه قبل رحيله ، بدلاً من أن ينتقل كل سكان الجبل إليه . فلما جاءهم ، تجمعوا حوله ، وطلبوا منه كلمة منفعة فبكى القديس وقال لهم :

«فلنبك يا اخوتي ، ولتفض عيوننا بالدموع ، قبل أن
نذهب إلى المكان الذى فيه تحرق دموعنا أجسادنا ...»
فبكوا كلهم وسقطوا على وجوههم قائلين «صلّ عنا أيها
الأب ...»



٦ - ومن الذين اشتهروا بالدموع :

القديس بفتيوس تلميذ وخليفة القديس مكاريوس
الكبير:

وكان منذ شبابه المبكر نامياً في حياة القداسة ، وكان كل
الآباء معجبين به ومحبون له ، حتى أنه أصبح رئيس الأساقفة بعد
القديس مقاريوس .

حكى هذا القديس لأ ولاده فقال :

«حينما كنت صبيّاً ، وجدت خيارة وقعت على الأرض من
الجمالين ، فأخذتها وأكلتها . وكلما تذكرت هذه القصة
أبكى ...»

حدث هذا وهو صغير ، وترهب ، ونما في النعمة ، وصار رئيساً

للأسقيط، وكان يخرج الشياطين، وكان البابا ثاوفيلس يشتهي
سماع كلمة منقعة من فمه... ومع ذلك كلما يذكر تلك القصة
يبكى...

ليس البكاء هنا لكى يغفر له الرب خطية. فإن داود
النبي قد بكى بعد أن غفر له الرب خطيته.

بعد أن قال له ناثان النبي «الرب نقل عنك خطيتك. لا
تموت» (٢ صم ١٢ : ١٣).

إن الإنسان الحساس لا يبكى فقط من أجل طلب المغفرة. إنما
يبكى حزناً على نفسه كيف وصل إلى مستوى السقوط، وكيف
أحزن الروح القدس الساكن فيه، وبكل جرأة كسر وصايا الله
المحب، الذى خلقه على صورته ومثاله، ففقد هذه الصورة
بخطاياها.



سئل أحد القديسين عن الأمور التى يمكنها أن تبكيه.

فقال تفرعننى ثلاثة أمور:

١ - ساعة خروج روحى من جسدى.

٢ - ساعة وقوفي أمام الديان العادل .

٣ - ولحظة صدور الحكم عليّ .

هذه الأمور الثلاثة كانت باستمرار تشغل بال القديسين ،
وتكون مصدراً للموع بالنسبة لهم .

إنها أمور تتعلق بحرص الإنسان على أبعديته ...

وتذكر الموت إذن يصاحبه دائماً تذكر الدينونة .

وتذكر الدينونة يجلب الدموع ، وبخاصة إن كان يصحبه تذكر
الخطايا والبكاء عليها .

ما أصعب عبارة « يجازى كل واحد بحسب أعماله » ... وما
أصعب أيضاً عبارة « وأعمالهم تتبعهم » .

ترى ما هو نوع هذه الأعمال التي تتبعنا ! وهل تستحق
الدموع ؟!

ومع تذكر الدينونة ، يتذكر الإنسان أيضاً عدل الله . ولهذا
تضع الكنيسة أمامنا هذه الحقيقة كل يوم في صلاة النوم ، حيث
يقول المصلي « هوذا أنا عتيد أن أقف أمام الديان العادل مرعوب
ومرتعد من أجلى كثرة ذنوبى ... » .

وفى تذكّار الدينونة والخطية ، نتذكر أيضاً قول الرسول :
«مخيف هو الوقوع فى يدى الله الحى» (عب ١٠ :
٣١).

إن الخوف أيضاً سبب جوهرى من أسباب الدموع .
ونقصد فى مقالنا هذا الخوف لأسباب روحية ، وليس الخوف
بسبب أمور عالمية كما يحدث للبعض ...



إبك يا أخى ههنا ، لكى يمسح الرب كل دموعه من عينيك
حينما تلقاه .

ولكنك إن لم تبكى ههنا ، فما الذى سيمسحه المسيح من
عينيك فى العالم الآخر ؟!

إن الذى لا يبكى ههنا ، تتفجر من عينيه ينابيع دموع اليأس
التي لا يمسحها أحد هى دموع لا تستطيع أن تطفىء النار المحيطة
به .

ما أكثر ما قاله الآباء القديسون عن البكاء والدموع .

• سأل أخ القديس الأنبا ييمن قائلاً « ماذا أفعل من جهة خطاياى ؟ » فأجابه :

« إن الذى يريد أن تُمحى خطاياہ ، يستطيع هذا بالبكاء . لأن البكاء هو الطريق الذى علمنا إياه الكتاب . والآباء أيضاً كانوا ييكون باستمرار . ولا يوجد طريق آخر غير هذا » .

• سأل الأنبا نوح القديس مقاريوس « قل لى كلمة منفعة » . فقال له الشيخ « اهرب من الناس » . فسأله الأنبا نوح « ماذا تعنى يا أبى بأن أهرب من الناس ؟ » . فقال له الشيخ « اجلس فى قلايتك وابك على خطاياك » .

• وقال الشيخ الروحانى :

« طوبى للذين احترقت خدودهم بدموع محبتك . فإن هذه الدموع تروى الأرض الناطقة التى احترقت بالنار ، فتعطى ثمار الروح » .

هذه الدموع التى يجب أن يتصف بها كل إنسان فى حياته : لها عوامل تقويها ، وعوامل تضعفها . فما هى هذه وتلك ؟



مسيبات الدموع

- الرقة والحساسية .
- الشعور بتفاهة العالم .
- تذكر الخطايا .
- التجارب والضيقات .
- تذكارات الموت .
- الفرج والتأثر .
- الصلاة .
- الشعور بالمعجز .
- الشعور بالتخلي .
- الشهامة .

هناك دوافع كثيرة تسبب الدموع ، بعضها داخلي ، في القلب والفكر والشعور ، بل وفي طبع الإنسان ذاته ، وبعضها عوامل خارجية تختص بالظروف والملابسات التي تحيط بهذا الباكي . وسنحاول أن نتكلم عن هذه وتلك بقدر الإمكان . ونذكر حالياً منها :

الرقّة والحساسية

الإنسان الرقيق الحساس ، دموعه سهلة وقريبة ..

أما الشخص القاسي ، الشديد القلب ، فدموعه عزيزة ، ومن الصعب أن يبكي . وإن بكى هذا الشخص في يوم ما ، فلا بد أن يكون السبب الخارجي قوياً جداً وخطيراً ، بحيث لم يستطع طبع هذا الإنسان أن يقاومه ...

لذلك نجد أن الدموع عند المرأة قريبة جداً أكثر مما عند الرجل ...

لأن المرأة أكثر رقة من الرجل بطبيعتها . ولكن إذا بكى الرجل ، تكون دموعه أكثر عمقاً وأشد تأثيراً . كذلك إن بكى الطفل أو الصبي ،

يكون هذا شيئاً طبيعياً ، شيئاً عادياً في طبيعته . أما إذا بكى رجل كبير السن ، فإن دموعه تكون أغلى وأوقع ، ولها أسباب أشد وأعماق ، بحيث لم يستطع هذا الكبير أن يضبط نفسه ...

الإنسان الرقيق يتأثر بأقل شيء ، وتسيل دموعه بسرعة وتلقائية ...

وهي دموع طبيعية لا تصنع فيها ، لأن مشاعره الحساسة تتأثر بسرعة ، سواء بما يخصه أو يخص غيره ... وهناك أمور عديدة تهز القلب ، بالنسبة إلى أصحاب المشاعر الرقيقة ، بينما لا تؤثر في غيرهم من أصحاب القلوب الجامدة أو القاسية ، أو من الذين لهم قوة السيطرة على مشاعرهم ، أو الحرص على إخفائها ...

الدموع والقسوة لا يتفقان ...

إلا إذا صدمت القاسى بأسباب أقوى من قسوته ، فهزته من الداخل وأنهار أمامها ... ! تماماً كما حدث ليعسو ، حينما صُدم بضياح البركة منه بحيلة من أخيه ... ولم يحتمل الصدمة فصرخ باكياً (تك ٢٧ : ٣٤ ، ٣٨) .

على أن بكاء القاسى شيء مؤقت .

وهو أيضاً شيء غير طبيعي ...

أما بكاء الإنسان الرقيق فهو أمر طبيعي ، ومتكرر ، ومحمّل
الحدوث في أى وقت ، لسبب داخلى أو خارجى ...

لهذا ، فإن الذى يحب الدموع ، ويرغب فى اقتنائها ، عليه أن
يقتنى رقة الطبع أولاً ...

إن لم يكن رقيق الأحاسيس بطبيعته ، فعليه أن يقتنى هذه الرقة ،
و يبحث عن أسبابها ، و يدرّب نفسه عليها ...

وطبيعى كلما اقترب الإنسان إلى الله ، انبثا رقت مشاعره ..
و كلما عاشر رقيقى الطبع ، كلما تعلّم منهم رفقة ... كذلك عليه أن
يبتعد عن الأسباب التى تؤدى إلى شدة الطبع وقساوة القلب ، وهى
كثيرة

الشعور بفاهة العالم

الذى يعيش فى ملاذ العالم وملاهيّه ، من أين تأتية موهبة
البكاء ؟!

بل العالم يشغله ويلهيه ...

حينما كان سليمان الحكيم متمتعاً بأبهة الملك وفخامته ، ومهما

اشتهته عيناه لم يمنعه عنهما (جا ٢ : ١٠) .. في ذلك الحين ما كان
يبكى ... ولكنه لما شعر بتفاهة العالم ، وبأن كل ما فيه هو باطل
الأباطيل وقبض الريح ، حينئذ استطاع أن يقول :

« بكآبة الوجه يصلح القلب » ...

« الذهاب إلى بيت النوح ، خير من الذهاب إلى بيت الوليمة ، لأن
ذاك نهاية كل إنسان ، والحق يضعه في قلبه » « قلب الحكماء في بيت
النوح ، وقلب الجاهل في بيت الفرع » (جا ٧ : ٢ - ٤) .

عندما يدرك الإنسان الأمور على حقيقتها ، ويشعر بتفاهة العالم ،
ولا تُلذ له كل مغرياته ، حينئذ يشعر بفراغ من جهة العالم ... وتتغير
مشاعره ...

يشتاق إلى عالم آخر ، وإذ يجد العالم الآخر بعيداً عنه ، يبكى
اشتياقاً إليه وحنيناً ...

يشعر بغربة في هذا العالم الحاضر ، وتبكيه مشاعر الغربة ... متيقناً
أن فرحه الحقيقي ليس هوهنا . لأنه غريب على الأرض ، نزيل مثل
جميع آبائه ، يتطلع إلى وطن سماوى ، إلى المدينة التى لها الأساسات ...
(عب ١١ : ١٦ ، ١٠) .

لذلك صدق حس المرتل ، حينما دعا هذه الدنيا « وادى البكاء » .

وقال عن حياتنا فيها « عابرين فى وادى البكاء » (مز ٨٤ : ٦) .
كان القديسون يبكون ، إذ كانوا يشعرون بغربتهم فى العالم ،
ويشتاقون إلى عالم أفضل ، زاهدين فى كل ما ههنا . لا تشبعهم افراح
هذه الدنيا ، ولا ترضيهم ...

حقاً إن الإنسان يدرك الدموع الروحية ، حينما يصل إلى حياة
التجرد ...

وحينما يصل إلى التجرد ، أو على الأقل إلى محبة التجرد ، حينئذ
ييكى على الأيام التى قضاها متعلقاً بتفاهات العالم ومنشغلاً بها ،
ويقول للرب كما قال القديس أوغسطينوس « لقد تأخرت كثيراً فى
حبك ، أيها الجمال الفائق الوصف » ...

وهنا يتذكر خطاياها ، و يصير تذكرها ينبوعاً لدموع كثيرة ...

٣- تذكر الخطايا

إن بطرس الرسول لم يكن يدرك تماماً حقيقة ما يفعل ، وهو يسب ويحذف وينكر المسيح .. ! ولكنه لما صاح الديك وأحس بعمق خطيئته ، « خرج خارجاً ، وبكى بكاءً مراً » (مت ٢٦ : ٧٥) .

وهكذا أيضاً فعلت المرأة الخاطئة ، التي بلّت قدمي الرب بدموعها ، ومسحتهما بشعر رأسها (لو ٧ : ٣٨) . وبالمثل بكى داود النبي ، لما أظهر له ناثان النبي عمق خطاياہ (٢ صم ١٢ : ٧) .

إن نسيان الخطايا يجفف القلب ، ويجفف العينين . لذلك حسناً قال داود النبي :

خطيتي أمامي في كل حين (مز ٥٠) . فليتك تفعل هذا ، وتجعل خطاياك قدام عينيك ، تذلل بها نفسك وتوبخها ، وتبكي على هذه الخطايا النهار والليل . فإن البكاء على الخطايا يغسل القلب ، ويطهر الروح ، ويعطى يقظة للضمير ، فيمنع الإنسان من العودة إلى الخطيئة مرة أخرى ، ويعلمه الحرص والتدقيق .

ولهذا فإن نصيحة تتكرر في بستان الرهبان ، يقولها الآباء لمن يطلب كلمة منفعة :

« اجلس في قلايتك ، وابكِ على خطاياك » .

وغفران الله للخطية ، لا يمنع بكاء الخاطيء عليها . إنه لا يبكى خوفاً من العقوبة... إنما يبكى لأنه أحزن قلب الله بخطاياها ، أحزن روح الله الذى فى داخله ، وأبعد عنه الملائكة المحيطين به ، وكشف نفسه رديئة أمام أرواح المنتقلين... ويبكى أيضاً لأنه بخطيئته قد فقد صورته الإلهية ، وسقط وتدنس...

يبكى متألماً ، كيف ضعفت إرادته هكذا ، وتدنست روحه ؟!

و يشعر بالحجل أمام نفسه ، وبالخزى أيضاً . كما قال داود النبى فى المزمور « خزى وجهى قد غطانى » (مز ٤٤ : ١٥) . وكما قال دانيال النبى وهو يعترف بخطايا الشعب « يا سيد ، لنا خزى الوجوه ، لملوكنا لرؤسائنا ولآبائنا ، لأننا أخطأنا إليك » (دا ٩ : ٨ ، ٧) .

وهكذا كان القديسون يكون أيضاً من أجل خطايا الشعب .

يكون حزناً على الذين يسقطون والذين يهلكون ، كما نوح صموئيل على شاول الملك (١ صم ١٥ : ٣٥) ؛ ويكون طالبين المغفرة للناس ،

وطالبين لهم نعمة للتوبة ، كما بكى عزرا الكاهن بسبب خطايا الشعب ، ومزق ثيابه وبتف شعر رأسه (عزرا ٣ : ١٠) . وصلى واعترف وهو باك وساقط أمام بيت الله » (عزرا ١ : ١٠) . وقال « اللهم أنى أنجبل وأنزى أن أرفع يا الهى وجهى نحوك ، لأن ذنوبنا قد كثرت فوق رؤوسنا ، وآثامنا تعاظمت إلى السماء » (عزرا ٦ : ١٠) .
ونفس الوضع حدث مع نحيما ، حينما اعترف بخطايا الشعب وقال « إني أنا وبيت أبى قد أخطأنا وأفسدنا أمامك » (نح ١ : ٦ ، ٧) .

ومن أجل الشعب أيضاً بكى ارمياء النبی :

وتسجلت دموعه ومراثيه فى سفر كامل فى الكتاب نقرؤه باستمرار فى الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة العظيمة ...
إن كان الناس لا يكون على خطاياهم ، فمن واجب القديسين أن يكونوا من أجلهم ، طالبين لهم الرحمة والمغفرة ، وطالبين لهم التوبة ...

لقد بكى السيد المسيح على أورشليم (لوقا ١٩ : ٤١) ، إذ كان يبصر هلاكها أمام عينيه ... ونحن فى كل يوم نبصر الذين يسقطون ويهلكون ، والذين ينحرفون ويتعدون . أفلا يستحقون منا البكاء ؟ !
إن نحميا ، لما سمع أن سور أورشليم منهدم ، وأبوابها محروقة بالنار ،

يقول « فلما سمعت هذا الكلام ، جلست وبكيت ، ونحت أياماً وصمت واصلت ... » (نوح ١ : ٣ ، ٤) . وبكى نحميا أمام الله ، معترفاً بخطايا الشعب ... وقال للرب في صلاته « إني أنا وبيت أبي قد أخطأنا . لقد أفسدنا أمامك ، ولم نحفظ الوصايا والفرائض والأحكام التي أمرت بها موسى عبدك ... » .

والسيد المسيح لما بكى عليه بنات اورشليم ، قال هن « لا تبكين عليّ ، بل أبكين على أنفسكن وعلى أولادكن » (لوقا ٢٣ : ٢٨) ... حقاً ، كانت تلك النفوس تحتاج إلى البكاء ، تلك النفوس الحاطئة التي بكى المسيح من أجلها ...

حينما نبكى على خطايانا ، نتذكر أيضاً محبة الله التي صبرت علينا كل هذا الزمان !

نتذكر احتمال الله لنا ، وطول أناته ، ونحن مستمرين في الخطأ زماناً هذه مدته ... وتذكرنا لمحبة الله الصابرة والمحتملة ، تعطينا سبباً جديداً للبكاء تأثراً بمعاملته المترفة ...

وحينما تبكى النفس التائبة أمامه ، يشفق الرب ، ويُغلب من تحننه ، ويقول لتلك النفس « حولى عينيك عني ، فإنهما قد غلبتاني » (نش ٦ : ٥) .

إن داود النبي من أبرز الأمثلة للبكاء على الخطايا .

يكفى قوله « في كل ليلة أعوم سريري . بدموعي أبل فراشي » (مز ٦) . عبارة « كل ليلة » تعبر عن الوقت واستمرار البكاء . وعبرة « أعوم سريري » تدل على كمية الدموع المنسكبة .. ! تصوروا هذا الملك العظيم ، يرجع إلى قصره ليلاً ، فيخلع عنه تاجه وملابسه الملكية ، ويركع أمام الله باكياً ، ليبلل فراشه بالدموع . وحتى إذا نام ، ينام على سرير غارق في الدموع ... على الرغم من كل مظاهر العظمة والأبهة المحيطة . ويقول أيضاً :

« صارت دموعي لي خبزاً نهاراً وليلاً » (مز ٤٢ : ٣) .

وأيضاً يقول في تذله وبكائه « أكلت الرماد مثل الخبز ، ومزجت شرابي بالدموع » (مز ١٠٢ : ٩) ... أى أنه حينما يشرب ، تتساقط دموعه فتختلط بالماء الذي يشربه ، فيشربها معه !

وكان داود يحدث الله عن هذه الدموع ، فيقول له « أنصت إلى دموعي ، ولا تسكت عني ، لأنني غريب عندك » (مز ٣٩ : ١٢) ، « اجعل دموعي في زق عندك » (مز ٥٦ : ٨) .

إن الذين يسرعون إلى الفرح حال توبتهم ، يفقدون بركة الانسحاق وتعزية الدموع .

وقد يرجعون إلى الخطية مرة أخرى ، لأن التوبة لم تستوف مطالبا
من الانسحاق ومن البكاء ، وهذا الفرح السريع عطل القلب عن الشعور
بمرارة الخطية وفداحتها ، فعبر عليها كما لو كانت أمراً بسيطاً ...

حينما يبدأ التائب في البكاء والتذل أمام الله ، يحاربه الشيطان
بعبارة :

« امنحنى بهجة خلاصك » (مز ٥٠) .

والملاحظ أن داود النبي قدمها كطلبه ، ولم يعرفها كحالة ...
ولاشك أنه لا يتمتع بهجة الخلاص ، إلا الذي أدرك مرارة الخطية ،
وبكى بكاء مراً كما فعل القديس بطرس الرسول ...

لقد كان خروف الفصح يمثل الخلاص من عبودية فرعون ، ويرمز
إلى ذبيحة المسيح (١ كو ٥ : ٧) . ومع ذلك كان أمر الرب أن يأكلوه
على أعشاب مرة (خر ١٢ : ٨) متذكّرين خطاياهم التي جلبت لهم
العبودية . البكاء إذن هو الوسيلة إلى التعزية ، كما قال الكتاب :

« الذين يزرعون بالدموع ، يحصدون بالابتهاج » (مز ١٢٦ : ٥) .

بهذه الدموع التي تسكبها أمام الله ، نحصل على بهجة خلاصه .

التجارب والضيقات

التجارب والضيقات والآلام والأمراض والكوارث تجلب الدموع أحياناً .

وبخاصة لو شعر الإنسان بالتخلي أو أنها عقوبة بسبب خطاياہ .

وهنا يدخل في البكاء عامل روحى ، سببه شعور الإنسان أن النعمة قد فارقتہ ، أو أن الله بدأ يسلمه إلى أيدي أعدائه .. فيحزن لذلك ويبكى .

فأحياناً يبكى توبة وندماً .

وأحياناً يبكى في عتاب مع الله .

ولعل هذا ما فعله داود في تجاربه وضيقاته ، حينما قال في المزمور .

«لماذا يارب تقف بعيداً ؟ لماذا تختفى في أزمنة الضيق ؟»

(مز ١٠ : ١) .

والرب يسمح أحياناً بالتجارب ، لا تخلياً منه ، وإنما لفائدتها
الروحية .

لأن الإنسان فى وقت المذلة تجلب له انسحاق القلب ، وتواضع
الروح ، وفيضاً من الدموع يشعره بضعفه ، ويزيل منه كل أسباب
ومظاهر الكبرياء .

وقد يرى الله أن دموع أحد أبنائه قد جفت بلذة العالم ...

فيسمع له بالتجارب والضيقات ، لكى تعصر عينيه بعد أن تعصر
قلبه ...

والله لا يمنع هذه التجارب حتى عن قديسيه . وفى هذا يقول المزمور :
« كثيرة هى أحزان « بلايا » الصديقين ، ومن جميعها ينجيهم الرب »
(مز ٣٤ : ١٩) .

إنه يسمح بهذه البلايا أن تصيب قديسيه . فإن أتت بنتائجها
الروحية ، حينئذ ينجيهم منها .

وهنا أحب أن أفرق بين نوعين من التجارب ونوعين من
الدموع ...

نوع علمانى والآخر روحى .

هناك تجارب مادية أو عالمية ، تصيب الإنسان ، في ماله أو جاهه ،
أو مركزه ، فيبكي حزناً على لذة ضائعه من ملاذ هذه الدنيا ... وربما في
بكائه يتدمر ويتضجر ، حتى على الله نفسه !! كأن الله كان سبباً في
بلاياه !

مثل هذا الإنسان دموعه خطية .

ولسنا عن هذا النوع نتحدث .

إن دموعه تدل على محبته للعالم والأشياء التي في العالم ، التي تبید
وشهوتها معها (١ يوحنا ٢ : ١٦ ، ١٧) .

والإنسان الزاهد في الدنيا وملاذها ، لا يتأثر بهذه الأمور ، بل يقول
« الرب أعطى ، الرب أخذ ، فليكن إسم الرب مباركاً » (أى ١ :
٢١) .

وإنسان آخر كلما تضغط عليه التجارب ، يشعر بتفاهة الدنيا ،
ويشتاق إلى عالم أفضل ، هذا إنسان روحى .

إن بكى ، يبكى خوفاً من تخطي النعمة عنه . أو إنه يكون قد
أحزن الرب ، فتركه إلى هموم العالم .

هذا الإنسان بكائه روحى ممزوج بالتوبة وتواضع القلب ،

وممزوج بالاعتراف أيضاً . وقد يقول في قلبه : إن ما حدث لى ، أقل بكثير مما أستحقه بسبب خطاياى . وخير لى أن أستوفى البلىا على الأرض كلعازر المسكين (لوقا : ١٦ : ٢٥) .

أويقول مع المرتل فى المزمور :

« خير لى يارب أنك أذللتنى ، حتى أتعلم حقوقك »
(مز ١١٩ : ٧١) .

إن مثل هذه الدموع تجلب للقلب عزاء ، لأن الله يكون قد قبلها كرائحة سرور قدمه ، وقبل دوافعها الروحية أيضاً ...

وقد تكون التجارب من ضغط حروب الشياطين ، وبيكى الإنسان شاعراً بضعفه ، طالباً من الرب معونة .

فشعور الإنسان بأنه أضعف من أن يقاتل هذه القوى الروحية ، قد يجلب له دموعاً ، خوفاً من أن يسقط ...

أو أن أفكار العدو تكون قد نجست إنسان الله ، فيبكى حرصاً على نقاوة قلبه وفكره وشعوره ، ويجاهد طالباً نعمة الله معه .

وعن هذه الحرب الروحية ، أرسل بولس الرسول موبخاً العبرانيين

بقوله :

«لم تقاوموا بعد حتى الدم مجاهدين ضد الخطية»
(عب ١٢ : ٤) .

هذا الجهاد حتى الدم، تدخل الدموع عنصراً فيه . حيث يخاطب
الرب قائلاً «أنصت إلى دموعي» (مز ١١٩) ولا تتخل عني ، لأنني
بدونك لا أستطيع أن أفعل شيئاً (يو ١٥ : ٥) .

هناك سبب آخر للدموع وهو:

تذكارات الموت

المنشغل بالحياة الحاضرة لا يبكي .

بل قد يقول مثل الغنى الغبى : «أهدم مخازني وأبنى أعظم منها ،
وأجمع هناك جميع غلاتي وخيراتي . وأقول لنفسي : يا نفسي لك خيرات
كثيرة موضوعة لسنين عديدة فاستريحى وكلّى واشربى وافرحي»
(لو ١٢ : ١٨ ، ١٩) .

إن متع الدنيا تلهيه عن أبديته ، فلا يبكي ، بل يفرح
ويتمتع !!

أما الإنسان الروحي ، فإذ يضع أبعديته أمامه في كل حين ، ويدرك أن يوم الرب قد يأتي كلص (رؤ ١٦ : ١٥) ، تراه يستعد لهذه الأبدية ، وما تستلزمه من حياة التوبة والجهاد والكمال المطلوب والقداسة ...

وإذ يذكّر الموت يبكي ... لأنه ليس مستعداً له ...

ولا يزال أمامه جهاد طويل ، لم يسرف فيه خطوة واحدة ...

إن أرسانيوس العظيم ، رجل الوحدة والصمت والصلاة ، كان يبكي لتذكّر الموت ...

وإن كان الإنسان الروحي يبكي لتذكّر الموت بصفة عامة ...

فكم يكون بكاءه إن كان الموت متوقفاً لسبب واضح يوحى

به !

إن البكاء وحده ليس هو كل شيء . وليس هو سبب مفارقة الأهل والأحباب أو مفارقة ملاذ الدنيا ، كما يفعل أهل العالم ومحبه !

إنما هو بكاء مصحوب باستعداد روحي ، استعداد لمقابلة الله .

وهكذا كان القديسون ينصحون بتذكّر الموت ، وبزيارة المقابر .

إن القديس الأنبا أنطونيوس تأثر روحياً بوفاة أبيه بالجسد ، وزهد الدنيا وخرج منها بإرادته ، قبل أن يخرجوه كارهاً .

وموكب موت شاهده الأنبا بولا ترك تأثيره أيضاً ، فترك العالم والمال والقضايا ، وصار أول السواح .

وكان القديس أبا مقار الكبير يضع أحياناً جمجمة تحت رأسه تذكره بالموت . وأبا مقار الاسكندراني زار إحدى المقابر . والقديس أنطونيوس الكبير في بدء حياته الرهبانية سكن في مقبرة ...

تذكارة الموت له فوائده العديدة ، الدموع واحدة منها ...

تذكارة الموت يوقف الإنسان أمام حقيقة نفسه ، وأنه مجرد بخار يظهر قليلاً ثم يضمحل (يع ٤ : ١٤) ، وأنه « كزهر الحقل كذلك يزهر . لأن ريحاً تعبر عليه فلا يكون ، ولا يعرفه موضعه بعد » (مز ١٠٣ : ١٥ ، ١٦) .

ولذلك حسناً قال داود النبي :

« عرفني يا رب نهايتي ، ومقدار أيامي كم هي ، لأعلم كيف أنا زائل » (مز ٣٩ : ٤) .

وقال أيضاً « إنما نفخة كل إنسان قد تجعل . إنما كخيال

يتمشى الإنسان (مز ٣٩ : ٥ ، ٦) .

بتذكار الموت ، يتضع الإنسان وينسحق .
والإتضاع والإنسحاق يجلبان الدموع .

الفرح والتأثر

كما أن الحزن الشديد يجلب الدموع ، كذلك يسببها الفرح العميق أيضاً .

إن يوسف الصديق وأباه يعقوب لم يضبطا أنفسهما من
البكاء الشديد عند لقائهما بعد غيبة طويلة .

التأثر الشديد داخل القلب ، فاض دمعاً . ويقول الكتاب إن
يوسف لما رأى أباه « وقع على عنقه ، وبكى على عنقه زماناً »
(تك ٤٦ : ٢٩) .

ونفس التأثر والبكاء ، حينما عرف يوسف أخوته بنفسه .

وإن كانت المشاعر وقتذاك تختلف عن مشاعره حين لقائه بأبيه .

ويقول الكتاب في ذلك « فلم يستطع يوسف أن يضبط نفسه ...

فصرخ : اخرجوا كل إنسان عنى . فلم يقف أحد عنده ، حين عرّف يوسف اخوته بنفسه . « فأطلق صوته بالبكاء ... وقال يوسف لأخته : أنا يوسف . أحيّ أبى بعد ؟ » (تك ٤٥ : ١ - ٣) .

ونفس التأثر نراه حينما قابل يعقوب فى غربته ، راحيل ابنة خاله .

كانت مصادفة مفرحة ما كان يتوقعها . فلما رآها ، وسقى لها غنمها ، يقول الكتاب « وقبل يعقوب راحيل . ورفع صوته وبكى . وأخبر يعقوب راحيل أنه أخوأبيها ، وأنه ابن رقيقة » (تك ٢٩ : ١١) .

إن دموع الفرح باب طويل ..

دموع الفرح بالنجاح والتوفيق .

دموع الفرح باللقاء بعد غيبة .

دموع الفرح بعمل الله معنا ، فى أى أنقاذ من ضيقة . وفى حل أى اشكال معقد ...

دموع الفرح بالنجاة ، وبالفرج ...

ما أكثر دموع القديسين فرحاً ...

وليست كلها بكاء على الخطايا .

وهنا نذكر مجالاً آخر للدموع ، أو سبباً لها وهو الصلاة .

الصلاة

يبكى الإنسان في صلاته ، إذا كانت صلاته من عمق مشاعره وعواطفه .

قد يبكى خشوعاً ، وهو يشعر بعدم استحقاقه للوجود في حضرة الله .
وقد يبكى أمام المذبح أو الهيكل ، وهو شاعر بهيبة المكان ... أو
أثناء تناول أيضاً للشعور بنفس الهيبة .

وقد يبكى حباً لله ، الذى قبله إليه ، ولم يصنع معه حسب خطاياه وضعفاته .

وقد يبكى تأثراً ببعض كلمات وردت في الصلاة هزت مشاعره . كما يبكى بعض الآباء الكهنة وهم يصلون قسمة ذبح اسحق في يوم خميس العهد .

وقد يبكى خجلاً ، لأنه لم يفِ بوعوده التى عاهد الرب بها .

وقد يبكى حزناً على ضعفه وتقصيره ، وعلى مرات سقوطه ،
كما نقول في صلاة نصف الليل .. « اعطني يارب ينابيع دموع
كثيرة ، كما أعطيت في القديم للمرأة الحاطثة ... » .

وقد تكون دموعه في صلاته هي دموع التوبة ، لأنه استطاع أن
يعود إلى الله أخيراً بعد غيبة طويلة ، أو بعد غيبة عميقة .

إنها مشاعر تختلف من شخص لآخر ، يتأثر بها القلب
فتدمع العينان .

هناك سبب آخر يدعو إلى البكاء وهو :

الشعور بالعجز

الذى يشعر بقوته وقدرته وسيطرته على المواقف ، ربما من
الصعب أن يبكى وهو في هذا الشعور .

لكن يبكى الذى يشعر في أعماقه بأنه عاجز ، أو غير قادر
على التصرف السليم ، أو حائر أمام إشكال .

حينئذ يبكى ، إذ ليس أمامه سوى البكاء . وقد يصلى في

بكائه طالباً حلاً ومعوّنة من القادر على كل شيء .

هكذا قد نبكى أمام مريض عجز الأطباء عن علاجه ، أو أمام كارثة لا منقذ منها ، أو مأساة قادمة ولا مفر من مواجهتها ، ولا يمكن تفاديها .

ويزداد الألم والبكاء ، إن كان هذا الإنسان عاجزاً ، وكل من حوله عاجز مثله ، في ذلك الموقف .

أو قد يبكى الإنسان بسبب خطية أو شهوة أو عادة سيطرت عليه ، ويريد أن يتخلص منها ، ولكنه شاعر بعجزه أمامها .

أو بسبب عدو يضغط عليه ، ويدل في الأرض نفسه ، وهو عاجز تماماً عن مقاومته ويبدو أنه لا خلاص ...

هذا الشعور بالعجز ، إن اختلط بصلاة وعاطفة ، فلا مفر من الدموع . نتحدث عن سبب آخر وهو :

الشعور بالتخلي

سواء وقف الإنسان وحده ، وتخلي عنه كل الأصدقاء والأحباء . أو بالأكثر الإحساس بتخلي النعمة عنه .

شعور القلب بأن الله قد تركه ، حتى لو كان شعوراً خاطئاً ،
ولكنه موجود ، يضغط على نفسه فيتألم ويبكى ...

وبخاصة لو حدث هذا الإحساس بالتخلي وسط ظروف
ضاغطة ومشاكل مؤلمة ...

أو لو حدث التخلي في سقطات روحية ، ظن الإنسان أنه
لا قيام منها .

أو أحاطت بالإنسان الكوارث أو ألوان من الفشل المتلاحق .
وشعر أن كل هذا بسبب تخلي الله عنه ، بسبب خطاياهم .

وفي وسط كل هذا يبرز سبب آخر للدموع هو :

الشّماتة

وكما قال الشاعر :

كل المصائب قد تمر على الفتى

فتهون غير شّماتة الأعداء

إن الشماتة سبب لألم عميق ، سواء من أعداء ، أو من معزّين متعبين كأصدقاء أيوب (أى ١٦ : ٢) .

وقد شكّا داود النبي كثيراً من هذه الشماتة فى مزاميره .

فقال « ... إلهى عليك توكلت ، فلا تخزنى إلى الأبد ، ولا تشمت بى أعدائى » (مز ٣٥ : ٢) . وصرخ فى مزمور آخر قائلاً « حتى متى الخطاة يارب ؟ حتى متى الخطاة يشمتون » (مز ٩٤ : ٣) .

ونرى أن ميخا النبي يجتذب نفسيته خارج شماتة الأعداء هذه التى تحزن القلب ، فيقول « لا تشمتى بى يا عدوتى ، فإنى إن سقطت أقوم » (مى ٧ : ٨) .

إن استمرت الشماتة تدمى القلب ، وبالتالي تدمع العينين ، إلا للذين ارتفعوا تماماً عن كلام الناس .

حتى القديسون كانت الشماتة الروحية تتعبهم ، وبخاصة ممن يقولون « أين هو الرب إلههم » ... !!

الفصل الخامس

معوقات الدموع

- قسوة القلب .
- إداة الآخرين .
- العنف .
- الغضب والحقد .
- الحياة في الخطية .
- اللذة والرفاهية .
- التذمر .
- الفخر والكبرياء .
- التهاون والفتور .

فتوة القلب

القلب الرقيق الطيب دموعه قريبة .

أما القلب القاسى فتبتعد عنه الدموع .

من السهل أن يبكى بطرس بكاء مرأ . ولكن من الصعب أن يبكى
فرعون أو أن يبكى هيرودس .

كذلك فإن الشدة والحزم ، قد تمنعان الدموع أيضاً .

لأن الإنسان يستخدم فى ذلك الوقت القوة لا الرقة .

و يستثنى من هذا حالة الحزم النابعة من قلب مملوء من الحب ، كما
قيل عن السيد فى تطهير الهيكل :

يا قوياً ممسكاً بالسوط فى كفه والحب يدمى مدمعك

وفى حديثنا عن القوة والرقة نقول :

إن الدموع عند المرأة أسهل وأكثر مما عند الرجل . ولكن إن
بكى الرجل ، تكون دموعه أعمق ...

ذلك لأن شدته أو قوته لم تستطع أن تقاوم المشاعر الجياشة . فلا بد
أن سبب الدموع كان أقوى ، والانفعال بها كان أشد ...

إن الدموع والقسوة لا يتفكان معاً .

فإن كنت تطلب الدموع ، إبعد عن قساوة القلب بقدر ما تستطيع ،
وعن مظاهر هذه القسوة . كيف ذلك ؟
نضرب لك الآن بعض أمثلة :

إدانة الآخرين

وبالذات القسوة والشدّة في الحكم على الناس ... هناك أشخاص
عنفاء جداً في أحكامهم . إذا أنتقدوا إنساناً ، ينتقدونه بشدة وبقسوة ،
وبقلب خالٍ من الحب ومن العطف ، وخالٍ من تقدير ظروف
الآخرين ...

الإنسان الذي في هذه الحالة ، لا يمكن أن تسيل دموعه ، إلا
إذا تخلص من هذه المشاعر !

الحديث عن أخطاء الناس ، أو التشهير بهم ، سبب من الأسباب
الرئيسية التي تمنع الدموع . وفي نفس الوقت فإن هذا التشهير سبب من

الأسباب التي تقسى القلب ، وتبعده عن الرقة التي يتصف بها أولاد الله ...

إدانة الآخرين ليست فقط قسوة وعنفاً . وإنما فيها أيضاً ينسى الإنسان خطاياہ الخاصة .

والذى ينسى خطاياہ ، يبعد عن أهم مصدر للدموع ...

أما الإنسان الروحى ، فإنه يشفق على الخطاة ، متذكراً قوة العدو وحروبه ، وضعف الطبيعة البشرية ، ومتذكراً أيضاً خطاياہ وسقطاته .
فيبكى على الساقطين كما يبكى على نفسه ... وفى ذلك قال القديس بولس الرسول :

« اذكروا المقيدین ، كأنكم مقيدون معهم ، والمذلین كأنكم أيضاً فى الجسد » (عب ١٣ : ٣) .

رجل الدموع يمكن أن تكون عنده هذه المشاعر . ومن عنده هذه المشاعر يمكن أن يقتنى ، الدموع .

وهكذا كان القديس يوحنا القصير... حينما كان يرى إنساناً يخطئ ، كان يبكى ويقول : هذا الإنسان سقط اليوم . وقد أسقط أنا مثله غداً وربما يخطئ هو ويتوب ويخلص بينما أخطئ أنا ولا أتوب ...

وهكذا كانت خطايا الناس تدفعه إلى البكاء ، ولا تدفعه إلى الإذانة .

والقديس موسى أيضاً كان باستمرار يتذكر خطاياہ ، لا خطايا الناس

وهناك قاعدة روحية تقول : إن الإنسان يسقط عادة في الخطايا التي يدين الناس عليها ...

والله يسمع بهذا ، لكي يخزي كبرياء الذين يدينون غيرهم . لكي نعرف أننا إذا سرنا حسناً ، فليس هذا لقوة فينا ، إنما بسبب معونة تأتي من فوق .

فإن أدنا غيرنا بقساوة قلب ، تتخلى عنا النعمة الحافظة ، فنسقط مثلهم ...

وحيثما نسقط ، ونبكي على خطايانا ، شاعرين بضعفنا ، وبأن الخطية « طرحت كثيرين جرحى ، وكل قتلها أقوياء » (أم ٧ : ٢٦) . حينئذ ترق قلوبنا ، ونشفق على غيرنا ، ولا ندين الساقطين ، بل نبكي من أجلهم ... شاعرين بأن الشيطان نشيط ، ونشاطه يدعونا إلى الخوف والحرص والبكاء ، وطلب معونة .

مثلاً نسمع أن أسداً في الطريق قد افترس إنساناً ...

لا ندين هذا الإنسان ، بل نبكى عليه ، ونبكى على أنفسنا من خطر هذا الأسد المفترس ، الذى شبه به الرسول عدونا الشيطان الذى يجول ملتصقاً من يبتلعه (١ بط ٥ : ٨) .

أو مثلاً نسمع عن وبأ أصاب آخرين فماتوا ... هل نبكى عليهم أم ندينهم ..؟!؟

هكذا الخطية ، وهكذا الشيطان ، وهكذا حال الذين يسقطون ، والذين يدينوهم ...

الإدانة إذن هى قسوة ، ونسيان لقوة العدو ، ونسيان للضعف البشرى . وكلها أمور تبعد الدموع ... وبنفس الوضع نتحدث عن الإدانة المستترة .

ونقصد بالإدانة المستترة التى تختفى وراء النصيح أو التوبيخ أو الإنذار .

ولعلك تسأل : هل معنى هذا إننى لا أنصح أحداً ولا أحذره ؟

أقول لك : يمكن أن تفعل هذا ، ولكن فى محبة ، وليس بروح التعالى . وتذكر قول بولس الرسول لرعاة أفسس :

« متذكرين أنني ثلاث سنوات ليلاً ونهاراً ، لم أفتر عن أن أنذر بدموع كل أحد » (أع ٢٠ : ٣١) .

إنه ينذر ، ولكن بدموع ... بدموع فيها حب ورقة ، وخوف عليهم من السقوط ، وتقدير للضعف البشري .

تذكر أن الطبيب حينما ينزع جزءاً فاسداً من مريض ، إنما يفعل ذلك بحتو ، دون أن يشمئز من فساد هذا الجزء الذي يقطعه ، ودون أن يدين المريض بسبب ذلك .

سبب آخر يمنع الدموع وهو :

العنف

الإنسان العنيف لا يبكي . إنما عنفه يمنع عنه الدموع ... أياً كان هذا العنف ونوعه ...

فالقاتل لا يبكي . وقد يكون القاتل في حالة تذيب القلوب ، وقد يتوصل إليه . ولكن قساوة قلبه في العنف ، تحفف عينيه ...

قد يبكي فيما بعد ، حينما يرجع إلى نفسه ويتذكر قسوته ...

وكذلك المخرب والثائر...

وحتى العنيف في المنافسة أو المناقشة ، أو الخصومات ، أو النزاع مع الناس أياً كان نوعه ...

الذى يصيح و يعلو صوته في نقاشه مع الآخرين ، هذا تهرب منه الدموع .

والذى يحل المشاكل بعنف ، أو يفرض عقوبات على مرؤوسيه بعنف ، أو يستخدم العنف في المعاملات ... هذا أيضاً بعيد عن موهبة الدموع . وبالمثل الغضوب :

الغضب والحقد

من المحال أن إنساناً غضوباً ، تكون له موهبة الدموع .

الدموع كما قلت تتمشى مع رقة القلب . والإنسان الغضوب يتصف بالحدة والعنف والقسوة . وهذه كلها ضد الدموع .

من الجائز أن إنساناً غضوباً ، يبكى من الغيظ والقهر .

مثلاً بكى عيسو لما اكتشف أن أخاه يعقوب أخذ منه البركة (تك ٢٧ : ٣٨) .

ولكن هذه ليست من الدموع الروحية التى نتحدث عنها .
ومن الجائز أن دموع الغيظ والقهر توجد فى العلاقات العائلية ، أو
مجالات العمل ... إنها دموع ، ولكن ليست من النوع الروحى ...
ربما يدفع إليها اليأس أو العجز أو الفشل ... أما الدموع الروحية
فتصدر من قلب نقى ، رقيق ، حساس ...

الذى يقتنى موهبة الدموع ، ثم يسلك فى الطبع الغضب ،
يفقد تلك الموهبة ...

ويجد أن دموعه قد جفت ، أو فارقت ، على الأقل فى وقت
غضبه ... فإن كان الله قد وهبك دموعاً ، ثم فقدتها ، أدخل إلى
داخل نفسك ، وابحث عن السبب وعالجه . واسأل نفسك : هل
كان الغضب من أسباب فقدك للدموع .

الغضوب يركز أثناء ثورته على أخطاء غيره .

أما صاحب موهبة الدموع ، فيركز على أخطائه الخاصة .

تركيزه على أخطائه الخاصة يبيكه ، متذكراً ضعفه وسقوطه
وانفصاله عن الله ... أما التفكير أثناء الغضب فى أخطاء الغير ، فإنه
قد يثير المشاعر والأعصاب ، كما أنه ينسى الإنسان خطايا . وقت

البكاء ، هو وقت مشاعر وأحاسيس . أما وقت الغضب ، فهو وقت أعصاب وثورة وقسوة . وقت البكاء يسوده الحب ، وأما وقت الغضب فتسوده الكراهية ...

لذلك لا تلم غيرك ، إنما لم نفسك . فالآباء يقولون :

ملامة النفس تمنع الغضب ...

وإن غضب الذى يلوم نفسه ، فإنما يغضب على نفسه ، لا على غيره ... لذلك نقوا أنفسكم من الغضب ، إن أردتم أن يهبكم الله موهبة الدموع ...

كذلك فإن الحقد أصعب وأقسى من الغضب .

إن كانت إدانة الآخرين تمنع الدموع ، والغضب يلاشيها . فمن باب أولى الحقد والكراهية والعداوة ، لأنها درجات أكبر من الغضب واعنف . وتدل على قسوة فى القلب ، ورفض لغفران إساءة المسيء ... وكلها تعكر القلب وتفقده رفته .

من الأسباب الأخرى التى تعوق الدموع : الحياة فى الخطية .

الحياة فى الخطية

الألم بسبب الخطية ، يجلب الدموع ويكون فى التوبة .

أما الحياة فى الخطية والتلذذ بها ، فيمنعان الدموع .

لأنه على أى شىء يبكى الإنسان ، إن كان مسروراً بحياة الخطية التى يعيشها ؟! إن البكاء قد يأتى من ونز الضمير التائر عليه . أما فى التمتع بالخطية ، فإن الضمير يكون نائماً أو مخدراً !! والإنسان تقوده المتعة لا الضمير .

بل الإنسان فى الخطية ، قد يبكى إن فقد الخطية !!

وتكون دموعه فى هذه الحالة خطية ... مثلما بكى بنو اسرائيل فى البرية ، ما لم يجدوا لحماً يأكلونه (خر ١٦ : ٣) .. ومثلما يبكى إنسان مدمن ، لا يجد ما اعتاده من المخدرات .. أو كما يبكى محب المال ، إن فقد أمواله ! أو كما يبكى محب اللذة الجسدية ، إن اغلقت أبوابها أمامه .. أو محب العظمة والسلطة إن فقدها ، وأصبح شخصاً عادياً .. !! وكلها دموع عالمية أو مادية ، تعتبر خطية تضاف إلى الخطايا السابقة ...

فهذه الدموع الخاطئة تدل على محبة عميقة للخطية .

وبالتالى تدل على انفصال القلب عن الله ... كما تدل على تعلق القلب بالعالم والماديات . وليست هى نوع الدموع الروحية التى نتحدث عنها .

على أنه قد يحيا الإنسان أحياناً فى الخطية ، وتوجد له دموع روحية . فكيف ذلك ؟ نذكر لهذا مثلاً .

قد يحيا إنسان فى خطية ، مقهوراً من عادة فسيطرة عليه . فيبكى إذ يريد من كل قلبه أن يتخلص من الخطية ، واراادته أضعف من أن تساعد !

هذا الإنسان تنتشله النعمة ، ويعتبر الله بكاءه بداية للتوبة . وينظر إلى قلبه لا إلى عمله ، إن كان صادقاً فى نيته وفى دموعه ... وإن كان يفعل الخطية وهو غير متلذذ بها ، إنما وهو مقهور منها ... فاللذة أيضاً تفقد الدموع ...

اللذة والرفاهية

اللذة بطبيعتها تتناقض مع الدموع .

والذى يعيش فى لهُ ومتعة ورفاهية ، يتمتع بالمال والمادة
والسلطة وكل متعة عالمية... هذا الإنسان من أين تأتيه
الدموع... ؟!

بل إنه يحتاج إلى دموع الناس عليه ،
لكيما يصل إلى حياة الدموع .

الذى يحيا حياة اللذة والمتعة ، يكره الدموع ، لأنها تعكنى
عليه !! وتقطع حبل متعته ، وتكون كمنشار فى لحن ملاذه !! مثل
هذا ، يحب العالم والأشياء التى فى العالم . وتخدره كل هذه
الأشياء ، حتى لا يفكر فى أبديته !

لذلك أبعد عن حياة اللذة ، حينئذ تدرك تفاهتها ،
فتبكى على الأيام الذى ضيعتها فيها ...

وحينئذ تنشد مع سليمان الحكيم «الكل باطل وقبض الريح»
«باطل الأباطيل ، الكل باطل . ولا منفعة تحت الشمس»
(جا ١) ... لقد قال هذه العبارات إنسان مجرب ، ذاق كل متع
الدنيا ، على تعدد أنواع ، وقال فى ذلك «... ومهما اشتتهه عيناى ،
لم أمنعه عنهما» (جا ٢ : ١٠) . ومع ذلك وجد الكل الباطل ،

ووجد أنه « بكآبة الوجه يصلح القلب » (جا ٧ : ٣) .

ينبغي أن تعرف أن حياة اللذة، هي ضدك وليست لك .
وهي تنسيك حقيقتك !

الابن الضال حينما كان يعيش في حياة اللذة العالمية ، ما كان يدري ما هو فيه . ولكنه وصل إلى التوبة وإلى أنسحاق النفس ، حينما عاد إلى نفسه ، وشعر بسوء حالته . وعندئذ فقط بدأ حياته الحقيقية كابن ، وعاد إلى بيت أبيه ...

كذلك نقول : إن الاستغراق في الضحك والمزاح ، يمنع الدموع .

حقاً كما قال الحكيم « للبكاء وقت ، وللضحك وقت » (جا ٣ : ٤) . ولكن مع ذلك فإن الذين يعيشون في حياة كلها مزاح وضحك ، من الصعب أن يصلوا إلى حياة الدموع ...

على الأقل في وقت ضحكهم ، يكونون بعيدين عن الدموع .

إذن ، إن كانت حياة اللهو والضحك واللذة والمتعة ، تمنع الدموع ... فإننا نقول من الناحية العكسية : إن التجارب والضيقات

والأمراض والآلام هي من مسببات الدموع... ففيها يشعر الإنسان
بضعفه، وبثقل النير عليه، فيتجه إلى الله، ويسكب دموعه
أمامه...

ولكن على شرط أن يقبل التجارب والضيقات بغير تدمير.

التدمير

إن التدمير سبب من الأسباب التي تمنع الدموع.

فإن الإنسان في تدمره يكون ساخطاً، وشاعراً بأنه لا يستحق
كل هذا الذي يحدث له. وفي سخطه وتدمره يفقد التواضع ويفقد
الإنسحاق للذات يجلبان الدموع...

وفي التدمير، يشعر الإنسان أنه مظلوم، وبالتالي يدين من
ظلمه. وهكذا ينتقل من التفكير في خطايا، إلى التفكير في خطايا
غيره... وهذا ضد منهج الدموع...

والذي يتدمير قد يتدمير على الله نفسه، فيجذف!!

وفي كل ذلك يكون بعيداً عن الجو الروحي الذي تسيل فيه

الدموع ... بل إنه في تدمره قد يدخل في قساوة القلب ، وفي الاعتداد بالذات ، وفي الغضب والحقد ... ولا يمكن أن يجد دموعاً وسط هذه المشاعر الخاطئة كلها ...

إن كانت الدموع تتفق مع التواضع والانسحاق ، فلا شك أن كبرياء القلب وكبرياء التصرف ، كلها تمنع الدموع ...
وإن كانت الدموع تتفق مع لوم النفس وتبكيك الذات ، فبالتالي يكون الفخر والحديث عن فضائل النفس ، من الأسباب المانعة للدموع .

فلا يمكن أن يبكى الإنسان وهو سعيد بذاته ، يرفع شأنها ، ويمتدح صفاتها !!

نفس الكلام نقوله عن العظمة ، ومحبة المناصب والمتكآت الأولى ، ومحبة الكرامة ومديح الناس ... فكل هذه تمنع الدموع تماماً ... لأن الدموع تتفق مع الشعور بالضعف ، وليس مع الشعور بالقوة والعظمة والسلطان .. !

كذلك فإن الافتخار بالدموع ، يمنع الدموع .

الفخر والكبرياء

فقد تسلك في الطريق الروحي السليم ، وفي حياة التوبة وحياة
الانضاع والانسحاق ، وفي كل مسببات الدموع ... فإن أتتك
الدموع ، يحاربك الشيطان بها لكي يوقعك في المجد الباطل . فإن
فرحت بالدموع ، أو افتخرت بها ، أو أظهرتها قصداً ، حينئذ يمكن
أن تمتنع عنك وتنقطع ... ولذلك قال القديسون :

إذا ما أتتك الدموع ، فلا تشغل بها .
إنما فكّر في الأسباب التي جلبت الدموع .

إن بكيت مثلاً بسبب خطاياك ، فكّر في بشاعة تلك الخطايا ،
فيزداد انسحاقك وتزداد دموعك ... وحاذر أن تفتخر بدموعك أو
تفرح بها ، لأنك في هذا الوقت تكون قد نسيت خطاياك ، وانتقلت
من الانسحاق إلى الكبرياء ، أي انتقلت من مسببات الدموع إلى
موانع الدموع .

ولتكن دموعك بينك وبين الله ، لا تكشفها للناس ، ولا
تكبر بسببها . فكل ذلك يمنعها بعد مجيئها ...

التهاون والفتور

الدموع تناسبها الحرارة الروحية بكافة أنواعها ، سواء حرارة الحب ، أو حرارة التوبة ، أو حرارة التأثر .

أما الإنسان الفاتر ، فليست له دموع .

يحتاج أن يعود إلى محبته الأولى ، وإلى حرارته الأولى ، فتعود إليه الدموع . « فاذكر من أين سقطت وتب » (رؤ ٢ : ٥) .

وقد يأتي الفتور نتيجة للتهاون أو للرفاهية .

عالج التهاون إذن في حياتك الروحية ، واحذر الرفاهية .

إن داود النبي كان في مذله يمزج شرابه بالدموع (مز ١٠٢ : ٩) « وبدموعه كان يبيل فراشه » (مز ٦ : ٦) . أما في حياة الرفاهية ، فلم تكن له دموع ، بل كانت هناك الشهوة والخطية . كذلك كان ابنه سليمان لم يستفد من الرفاهية ، بل انتفع لما عرف أن الكل باطل وقبض الريح .
صلّ إذن وقل : اعطني يارب ينابيع دموع كثيرة .

فهرست الكتاب

صفحة

١ مقدمة الكتاب
٧ قمة الدموع
٨ تطويب البكاء
١١ أنواع من الدموع
١٣ دموع الصلاة
١٤ دموع الندم والتوبة
١٨ دموع الحزن
٢٠ دموع الفراق
٢٣ دموع التأثير
٢٥ دموع المشاركة
٢٦ دموع الفرح
٢٧ دموع مرفوضة (أنواع)
٢٩ دموع الشهوة
٣١ الدموع في الخدمة
٣٧ أسباب الدموع في الخدمة
٣٩ الدموع في حياة القديسين
٥١ مسببات الدموع

٥٢	الرقّة والحساسية
٥٤	الشعور بتفاهة العالم
٥٧	تذكر الخطايا
٦٣	التجارب والضيقات
٦٧	تذكر الموت
٧٠	الفرح والتأثر
٧٢	الصلاة
٧٣	الشعور بالعجز
٧٤	الشعور بالتخلي
٧٥	الشماتة
٧٧	معوقات الدموع
٧٨	قسوة القلب
٧٩	ادانة الآخرين
٨٣	العنف
٨٤	الغضب والحقد
٨٧	الحياة في الخطية
٨٨	اللذة والرفاهية
٩١	التذمر
٩٣	الفخر والكبرياء
٩٤	التهاون والفتور

فصل الكتاب

باسم الآب والابن والروح
القدس الإله الواحد آمين

ما أجل الدموع في سيرة
القديسين . إنها دليل على
حرارة الروح و عمق
حبه لله .

وفي هذا الكتاب نحدثك
عن كل أنواع الدموع ،
الروحى منها وغير الروحى .
ثم نركز على الروحى .

ونشرح الدموع في الخدمة
وفي سيرة القديسين وفي أحوالهم .
ثم نذكر مميزات الدموع
في الحياة الروحية ، وأيضاً
موقعاتها لكي نتجنبها ...

فإن كنت تحب الدموع
في روحائك ، يمكنك أن
تقرأ هذا الكتاب

البابا شنودة الثالث